مجلة القرطاس
تصدر عن الجمعية الليبية للعلوم التربوية والإنسانية ISSN 3135-4564
https://alqurtas.alandalus-libya.org.ly/ojs/index.php/qjhar/index مجلة علمية محكمة نصف سنوية

التحليل الإشاري في كتاب الأربعين النووية ـ دراسة تداوليةـ

د. نعيمة عبد الســـــلام الرمالي*
كلية الآداب واللغات- قسم اللغة العربية- جامعة طرابلس، ليبيا .
com.naimaalrmali@gmail
https://orcid.org/0009-0007-2330-1788

تاريخ الارسال 16/4/2026م تاريخ القبول 2/8/2026م

Pragmatic Analysis in the Book of Forty Hadiths of Nawawi: A Discourse Study

*Dr. Naima Abdul Salam Al-Ramali
Faculty of Arts and Languages – Department of Arabic Language –
.University of Tripoli, Libya
com.naimaalrmali@gmail
https://orcid.org/0009-0007-2330-1788

Abstract

This research addresses of deixis as one of the most important topics in pragmatic studies, through an applied study of a highly significant religious heritage text, namely the book Al-Arba'in al-Nawawiyya (The Forty Hadiths of al-Nawawi). The study seeks to answer key questions concerning the types of deictic expressions found in the hadith text, their pragmatic functions, and their role in achieving textual cohesion and serving the communicative purposes of the Prophetic discourse.

The research adopted the descriptive-analytical method, based on surveying the hadith texts and extracting the deictic expressions within them, then analyzing them pragmatically in light of modern linguistic theories. The study consists of two sections: a theoretical section presenting the concepts of pragmatics and deixis along with its five types (personal, temporal, spatial, discourse, and social deixis), and an applied section in which these concepts were applied to selected models from the forty hadiths. The study concluded

حقوق النشر © للمؤلف/للمؤلفين 2025. ينشر هذا البحث بموجب رخصة المشاع الإبداعي Creative Commons (CC BY-NC 4.0)

that the hadith text is built upon a coherent deictic system, in which deixis transcends its direct linguistic function to serve a pragmatic function that supports the legislative and educational purposes of the hadith.
Keywords: Pragmatics, Deixis, Al-Arba'in al-Nawawiyya, Prophetic Hadith, Textual Cohesion

الملخـــــــــص :

يتناول هذا البحث الإشاريات بوصفها أحد أهم موضوعات الدرس التداولي، وذلك من خلال دراسة تطبيقية على نموذج تراثي ديني بالغ الأهمية، وهو كتاب (الأربعين النووية)، وتسعى الدراسة إلى الإجابة عن أسئلة محورية تتعلق بأنواع الإشاريات الواردة في النص الحديثي، ووظائفها التداولية، ودورها في تحقيق التماسك النصي وخدمة المقاصد التبليغية للخطاب النبوي.

اعتمد البحث المنهج الوصفي التحليلي، القائم على استقراء النصوص الحديثية واستخراج الصيغ الإشارية فيها، ثم تحليلها تحليلاً تداوليًا في ضوء النظريات اللسانية الحديثة، وقد جاء البحث في قسمين: قسم نظري عرضت فيه مفهوم التداولية والإشارية ووظائفها وأنواعها الخمسة: (الشخصية، والزمانية، والمكانية، والخطابية، والاجتماعية) ، وقسم تطبيقي طبقت فيه هذه المفاهيم على نماذج مختارة من أحاديث الأربعين النووية، وتوصلت الدراسة إلى أن النص الحديثي يقوم على نظام إشاري محكم، تتجاوز فيه الإشارية وظيفتها اللغوية المباشرة إلى وظيفة تداولية تخدم مقاصد الحديث التشريعية والتربوية.

الكلمات المفتاحية: التداولية- الإشارية- الأربعين النووية- الحديث النبوي- التماسك النصي.

المقدمـــة :

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ الذي أوتى جوامع الكلم، وعلى آله وصحبه.

أما بعد.

فلا يخفـــى على الباحثين في حقل اللســـانيات أن الدّراسات التداولية (Pragmatics) قد فتحت آفاقًا واسعة لفهم اللغة في سياق استعمالها الفعلي، متجاوزة بذلك النظر إليها بوصفها نظامًا مجردًا من العلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، إلى اعتبارها فعلاً تواصليًا تتحكم فيه عناصر المقام والمتكلم والمخاطب وسياق الخطاب، ومن أبـرز القضايا التي تتناولها التداوليات قضية الإشارية (Deixis)، التي تُعدُّ جسرًا حقيقيًا بين اللغة والمقام؛ إذ تتعلق بتلك العناصر اللغوية التي لا يمكن تحديد مرجعها أو فهم دلالتها

إلا بالرجوع إلى سياق التلفظ، كضمائر المتكلم والمخاطب، وأسماء الإشارة وظروف الزمان والمكان، وأدوات الربط الزمني والمكاني.

ويُعد الحديث النبوي الشريف نموذجًا لغويًا بليغًا، تتجلى فيه ظاهـــرة الإشارية بشكل واضح ومكثف، باعتباره خطابًا تواصليًا صدر في سياقات تداولية محددة، خاطب به النبي –صلى الله عليه وسلم- أصحابه، مستحضرًا عناصر المقام من زمان ومكان ومتكلم ومخاطب، وما خطاب الحبيب المصطفى ـ صلى الله عليه وسلم- إلا نموذجًا رفيعًا للفصاحة العربية، الذي يمتلك نسقًا ونظامًا لغويًا رصينًا، لا تنقضي عجائبه، لما فيه من ألوان الجمال اللغوي، فالحديث النبوي من أهم مصادر الاحتجاج اللغوي عند علماء العربية قديمًا وحديثًا.

ومن هنا جاء اختيار "الأربعين النووية، للإمام يحيى بن شرف النووي" لكونه من أهم المختصرات الحديثية التي جمعت أربعين حديثًا (واثنين زيادة) تدور حول قواعد الدين وأصوله، فضلاً عن أن أسلوبه اللغوي الذي يزخر بمختلف صيغ الإشاريات الزمانية والمكانية والشخصية والخطابية، مما يجعله مادة خصبة لدراسة تداولية تكشف عن طبيعة العلاقة بين البنية اللغوية والمقصد التواصلي.

وتسعى هذه الدراسة الموسومة بـ"التحليل الإشاري في كتاب الأربعين النووية للإمام النووي: دراسة تداولية"، إلى الكشف عن أنماط الإشاريات الواردة في هذا النص الحديثي، وتحليل وظائفها التداولية، وبيان دورها في تحقيق التماسك النصي وفهم المقاصد التبليغية للخطاب النبوي،

وتنبع أهمية هذا البحث من كونه يقدم قراءة لسانية حديثة لنص تراثي ديني بالغ الأهمية عبر توظيف أدوات المنهج التداولي، وهو ما يفتح بابًا لإعادة النظر في النصوص الشرعية من منظور لغوي وظيفي يخدم فهمها وتفسيرها. وجاء هذا البحث للإجابة عن عدة تساؤلات منها:

س1- ما أنواع الإشاريات الموجودة في أحاديث الأربعين النووية، وما مدى تنوعها؟

س2- ما الوظائف التداولية التي تؤديها هذه الإشاريات في تشكيل الخطاب النبوي؟

س3- كيف تسهم الإشاريات في تحقيق الترابط بين النص ومقام التلفظ؟

س4- ما العلاقة بين الإشاريات والمقاصد التبليغية والتشريعية للأحاديث؟

أما أهداف البحث فتتمثل في:

ـ تحديد أنواع الإشاريات (الشخصية، والزمانية، والمكانية، والخطابية، والاجتماعية) الواردة في النص.

ـ تحليل الوظائف التداولية لهذه الإشاريات في ضوء سياقات ورودها.

ـ الكشف عن دور الإشارية في فهم المعنى المقامي للحديث النبوي.

ومنهج الدراسة اعتمدت المنهج الوصفي التحليلي، القائم على استقراء النصوص الحديثية، واستخراج الصيغ الإشارية فيها، ثم تحليلها تحليلاً تداوليًا في ضوء النظريات اللسانية الحديثة.

أما خطة البحث فقد قسمته إلى قسمين: قسم نظري يتحدث عن التداولية والإشارية، وقسم تطبيقي لتحليل نماذج من الحديث النبوي حسب مكونات السياق الاتصالي، وختمته بما توصلت إليه من نتائج.

أولاً: القسم النظري (التداولية- الإشارية).

1- **مفهوم التداولية.**

التداولية (Pragmatics) منهج لساني غربي حديث يهتم بدراسة اللغة أثناء الاستعمال، أي في علاقتها بمستعمليها وبسياقات التلفظ التي ترد فيها، خلافًا للمناهج البنيوية التي اهتمت باللغة بوصفها نظامًا مجردًا من العلاقات الداخلية، وقد عرفت (فرانسواز أرمينكوا) التداولية بأنها: "علم الاستعمال اللساني ضمن السياق وبتوسع أكثر هي استعمال العلامات ضمن السياق"(1).

ومن أبرز موضوعاته الإشاريات اللسانية التي ترتبط بالسياق التداولي للخطاب، وهي قيمة لغوية تشير إلى الكلمات أو التعابير التي لا يفهم معناها بشكل واضح إلا من خلال السياق الذي تستعمل فيه مثل: الألفاظ التي تتعلق بالمتكلم والمخاطب والزمان والمكان، متجاوزة بذلك بنية الجملة النحوية والتركيبية إلى قصد المتكلم وحالة المتلقي في أثناء الخطاب.

وقد جعل العالم الهولنديّ هانسون التداوليّة، على ثلاث درجات وجعل دراسة الإشاريّات في تداوليّة الدرجة الأولى التي تُعنى بدراسة الرموز الإشاريّة المبهمة في سياق تلفّظها، وبمعنى آخر التعرّف على السياق الوجوديّ لعمليّة التلفّظ الذي يشمل المتخاطبين والمكان والزمان(2).

وارتباط الإشاريّات بسياق التلفّظ جعل منها مبحثًا أصيلًا من مباحث التداوليّة القائمة على دراسة اللغة في الاستعمال(3) بل "الظاهرة التي انبثقت منها التداوليّة"(4)؛ ولهذا نبّـــه ليفنسون إلى أنّ الإشاريّات تذكير للغويّين المنظّرين بحقيقة مهمّة، وهي أنّ اللغات الطبيعيّة وضعت للتواصل وجهًا لوجه(5)، فالمقاربة الدلاليّة لا تُسعف كثيرًا في معالجة مبحث الإشاريّات؛ لذا لابدّ من التوسّل بالمقاربة التداوليّة(6).

2- **مفهوم الإشارية، ووظيفتها، وأنواعها.**

الإشاريات أو ما يسمى أيضًا (المعينات) أو (القرائن الإشارية) أو (الإحاليات السياقية)، هي: "علامات لغوية لا يتحدد مرجعها إلا في سياق الخطاب التداولي؛ لخلوها من معنى واضح في ذاتها، لذلك يطلق عليها المبهمات، ومع ذلك تُعدُ عاملاً مهمًا في تكوين بنية الخطاب، فلها دور أساسيٌ في الإحالة إلى معلومات، سواء تمَ التلفظ بها أم لم يتمَ ... إذ لا يمكن التواصل أثناء استعمالنا للغة ،أن يستغنى عن التعبير بالإشارة، ولضروريتها من الأجدى معالجتها، أي إبراز كيفية دخول السياق الذي توجد فيه مرجعيتها"(7)، وتقترن الإشاريات بفعل الإشارة إلى موضوع ما، وتنطبق على مجموعة من الوحدات التركيبية والعوامل الدلالية غير منفصلة عن سياقات إنتاج الملفوظ(8).

وتُعدّ الإشاريّات مبحثًا أصيلاً من مباحث التداوليّة، بل هي أسبق تلك المباحث، ويُعدّ الفيلسوف الأمريكي (بيرس) واضع مصطلح الإشارة أو العلامة الإشاريّة، فقد عُنِي عناية كبيرة بالعلامة عمومًا والعلامة اللغويّة خصوصًا، وتأويل العلامة عند بيرس هو تأويل تداوليّ يخضع للسياق(9).

ويمكن القول: إنّ البداية الحقيقيّة لدراسة العناصر الإشاريّة تداوليًّا كانت مع الفيلسوف الأمريكيّ (موريس) الذي أشار "إلى أنّ البعد الثالث في دراسة السيموزيس يبحث العلاقة بين العلامات ومؤوّليها، وقد أتّضح له في تلك الأثناء أنّ مجال التداوليّة لا يعدو العناية بضمائر الكلام، وظروف الزمان والمكان، ومختلف التعابير التي تستقي مرجعيّتها من مقامات التواصل، وإذا كانت دراسة (موريس) لم تتوسّع في تحليل هذه المباحث إلّا أنّها حازت قصب السبق من جهة، ومهّدت الطريق للدراسات اللسانيّة التي أهتمّت بقضايا التلفّظ والملفوظ من جهة أخرى"(10).

أما (جورج بول) فيعرِّف التأشير بأنه: "مصطلح تقني يُستعمل لوصف إحدى أهم الأشياء التي نقوم بها في أثناء التكلم، والتأشير يعني الإشارة من خلال اللغة(11).

ويمكن أن نمثل على ذلك بهذه الجملة المقتطعة من سياقها (قد يعملون به بعد غد؛ لأنهم ليسوا هنا الآن)، فالتركيب على هذه الصورة شديد الغموض؛ لاحتوائها على كثير من العناصر الإشارية التي لا يظهر تعلقها ومرجعيتها إلا بالعودة إلى السياق الذي قيلت فيه وتتطلب معرفة المعنى أبعادا أكثر من معرفة المرسل والمتلقي والزمان والمكان المحيطين بالحدث الكلامي، "فشخصية المرسل والمتلقي وما يملكانه من معرفة مشتركة

تشكل أساسا ينطلق منه المرسل في إنتاج خطابه والمتلقي في الوصول إلى غاية المرسل، وما تحمله التراكيب من أقوال مضمرة تقترن بسياق الخطاب"[12].

وهذه العناصر هي: واو الجماعة في الفعلين (يقومون ـ وليسوا)، وضمير الغيبة (هم)، واسم الإشارة (هذا)، وظرفا الزمان (غدا ــ الآن)، وظرف المكان (هنا)، فلا يتضح معنى هذا التركيب إلا إذا عرفنا ما تشير إليه تلك العناصر، هذا فيما تمَّ التلفظ به، والذي يعرف بالإشاريات الظاهرة، أما ما لا يتلفظ به، فهو الذي يسمى الإشاريات المستقرة في بنية الخطاب العميقة، أي: غير الظاهرة، وذلك نحو قول الشاعر أبو البقاء الرندي في مرثية الأندلس:

لكلِّ شيء إذا ما تمَّ نقصانُ فلا يُغرَّ بطيب العيش إنسانُ

كلِّ شيء: إشارة عامة شمولية (غير محددة).
إذا ما تمَّ : إشارة زمنية شرطية (تفهم من السياق).
فلا يغر: إشارة للمخاطب أو السامع (ضمير).
العيش : إشارة للزمن (الحياة).

فالبيت لا يفهم حرفيًا كما هو ظاهر في البنية السطحية، بل ينتج معنىً ثقافيًا، متمثلاً في حكمة عامة مخاطبا بها كل غافل، بأنَّ كل شيء للزوال ولا يدوم، وهي إشارة مستقرة في بنية الخطاب العميقة، وهي غير ظاهرة.

فالعناصر الإشارية تشمل كل ما يشير إلى ذات أو زمان أو مكان إشارة أولية لا تتعلق بإشارة أخرى سابقة أو لاحقة، فتلك العناصر تمثل روح الخطاب، فهي ترتبط بالحقل الإشاري ارتباطًا آنيًا محددًا عند الاستعمال، فأسماء الإشارة تقوم بالربط القبلي والبعدي، وإن كانت بشتى أصنافها محيلة إحالة قبلية، بمعنى أنَّها تربط جزءًا لاحقًا بجزء سابق[13]).

ج- وظيفة الاشاريات:

تهتم الاشاريات مباشرة بالعلاقات بين التركيب اللغوي والسياق الذي تستعمل فيه، وهي جزء لا يتجزأ من اللغة ولهذا فإن وظائفها تدخل في وظائف اللغة، متمثلة في: كونها وظيفة اجتماعية تنشأ وتنمو بين أفراده، وهي أيضا تواصلية محورية بالدرجة الأولى؛ لأن الغرض الأول من اللغة هو "التواصل المباشر بين الناس وجهًا لوجه، وتظهر أهميتها البالغة حين يغيب عنا ما نشير إليه، فيسود الغموض ويستغلق الفهم"[14] ولعل

التواصل من خصائص اللغة الأولى من وجهة نظر (بنفينست) راجع إلى طابعها الرمزي "فملكة الترميز عند الإنسان تبلغ أقصى تحققها في اللغة التي هي تعبير رمزي بامتياز"[15] فالاشاريات تمثل وظيفة الايجاز والاختصار، وهي الجانب الخفي للغة ـ إن صح التعبير ـ الذي يحمل الكثير من الدلالات والمعاني؛ لأنها تحيل على عوائد ومراجع غير محدودة، باعتبارها ألفاظ مبهمة، تحتاج لسياق لتكون نافعة وواضحة.

ووفقا لمبدأ الاقتصاد اللغوي عند (مارتينه)، "فإن الانسان يرضي احتياجاته التواصلية اللغوية إلى حد ما، من خلال رواية أشياء مختلفة ضمن سياقات متنوعة بواسطة الأشكال عينها، ويشكل ذلك واحدًا من أساسيات أي اقتصاد لغوي"[16] إذًا الإشاريات هي من الأشكال والرموز اللغوية الاقتصادية، فبها نستطيع التعبير دون الحاجة لتكرار الألفاظ والمسميات.

د- أنواعها::

تتفرع الإشاريات في الدراسات التداولية الحديثة إلى الأنماط الآتية[17]:

1- **الإشاريات الشخصية (الذاتية)**: وتشمل أطراف التواصل من متكلم ومخاطب وغائب، عبر الضمائر المنفصلة والمتصلة (أنا، أنت، نحن، أنتم)، وأدوات التملك المتعلقة بضمير المتكلم وضمير المخاطب (كتابي، كتابك، كتابنا).

2- **الإشاريات الزمانية:** وهي تدل على زمان يحدده السياق بالنظر إلى زمان التكلم، فزمان المتكلم هو مركز الإشارة الزمنية في الكلام، فإذا لم يُعرف زمان المتكلم التبس الأمر على السامع مثل: (الآن، اليوم، البارحة، غدًا).

3- **الإشاريات المكانية:** وهي كلمات تشير إلى أماكن يعتمد استعمالها وتفسيرها على معرفة مكان المتكلم، أو على مكان آخر معروف للمخاطب مثل: (هنا، هناك، أمام، خلف، وأسماء الإشارة هذا، هذه، ذلك، تلك).

4- **الإشاريات الإجتماعية:** تتعلق بالعلاقات الاجتماعية بين المتكلم والمخاطب من حيث المقام والمنزلة مثل (صيغ التبجيل، والتصغير، والخطاب الرسمي وغير الرسمي).

5- **الإشاريات الخطابية:** وتتعلق بالعناصر التي تربط أجزاء الخطاب بعضها ببعض، وتشير إلى ما سبق أو سيلحق في النص نفسه كـ(أدوات الربط الإحالية داخل الخطاب الواحد).

فالخطاب يعتمد اعتمادًا تامًا على هذه العناصر أو الأنواع، فلا بد من حضورها، وبخاصة الشخصية والزمانية والمكانية، كما يلعب السياق دورًا مهمًا وفاعلاً في تفسير مدلولات تلك الإشاريات، فلا نستطيع فهم المراد بمعزل عن السياق.

ثانيًا ـ القسم التطبيقي في أحاديث الأربعين النووي:

بعد أن تناولنا في القسم النظري مفهوم الإشاريات وأنواعها ووظائفها التداولية، ننتقل في هذا القسم إلى الجانب التطبيقي من البحث، حيث نسعى إلى استقراء هذه الأنماط الإشارية واستثمار ما تمَّ تأصيله نظريًا في تحليل نماذج مختارة من أحاديث الأربعين النووية، وذلك بالوقوف عند كل نوع من أنواع الإشاريات على حدة، وبيان حضوره ووظيفته التداولية في النص الحديثي كاشفين عن العلاقة بين البنية اللغوية للحديث ومقامه التواصلي ومقاصده التبليغية.

1- **الإشاريات الشخصية (الذاتية):**

تُعرف الإشاريات الشخصية بأنها الضمائر الدالة على المتكلم مثل (أنا- نحن) والدالة على المخاطب مثل (أنت وأخواتها)، أما ضمير الغائب مثل: (هو، وهي، وأخواتهما) "فله حالتان: يدخل في باب الاشاريات إذا كان حرًا، أي لا يُعرف مرجعه من السياق، فإذا تحدد مرجعه خرج من دائرة الاشاريات، وعلى هذا الأساس، لا يصنف ضمن الإشاريات الشخصية ما يسمى بالضمير غير الشخصي، كما في نحو:(It rains) في اللغة الانجليزية، فهو ليس ضميرًا حقيقيًا يشير إلى موجود معين، بل هو في الحقيقة مورفيم نحوي شاغل لموقع تتطلبه قواعد التركيب الانجليزي"[18].

وبناء على هذا الرأي، فإن ضمائر الغيبة تخرج عن دائرة الاشاريات إذا كان لها عائد، وهو رأي يبدو بعيدًا في نظري، إذ لا أعتقد أن هناك ضميرًا في الجملة العربية لا عائد له، فهو في الحقيقة أسماء لأشياء، أما الأمر الثاني الذي ينبغي التنبيه عليه، فهو أنه يُشترط في ضمائر الغائب أن تكون حرة، حتى تُعد من الإشاريات، في حين أن ما كان منها موصولاً (مقيدًا) فلا يدخل في بابها، كما هو الحال في حرف المضارع في المثال السابق (it) والفعل (rains) بمعنى (تمطر) فهي مورفيمات مقيدة تتصل بالكلمة اتصالاً مباشرًا.

ويذهب مصطفى شعبان إلى أن: "إن الاشاريات الشخصية تتمثل في نوعين رئيسين من الضمائر، وهما الضمائر الدالة على المتكلم، والضمائر الدالة على المخاطب"[19]) ويمكن القول تأسيسًا على ذلك، إن كون ضمائر المتكلم والمخاطب مورفيمات مقيدة لا يُخرجها من دائرة الاشاريات، فالضمائر في حقيقتها عناصر إشارية تدل على المتكلم والمخاطَب، والسياق هو الذي يحدد مرجع الضمير بإحالته إلى صاحبه، وهي عند (بنفينست) أشكال فارغة دون مضمون ما دامت لم تدخل في السياق[20]. فمثلاً، حين النطق بجملة (بدأ الدرس) فإنها تتضمن بُعدا إشاريًا، إذ يكافئ معناها (أنا أقول: بدأ الدرس)، وبذلك فإن الضمير من خلال التركيب أو السياق، هو الذي

تتحدد به شخصية المرسِل، وكذلك المخاطَب[21] وذلك في حالة عدم التلفظ المباشر بالرمز الإشاري.

ويكتسب الحديث النبوي في هذا الباب أهمية خاصة، إذ يتقاطع فيه صوت الراوي بصوت النبي –صلى الله عليه وسلم- فيتشكل بذلك مستويان من الإشارية الشخصية: مستوى السند (الراوي يحكي) ومستوى المتن (النبي يتكلم) ومن الأمثلة على ذلك في حديث جبريل عليه السلام، يقول الراوي: **"...فقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم- الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة ، وتصوم رمضان ، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا"**[22].

فهنا **"أخبرني"** فعل أمر مسند إلى ضمير المتكلم المتصل (الياء)، يحيل إلى جبريل بوصفه طالب الخبر، وفيه أيضًا ضمير المخاطب المستتر (أنت) العائد على النبي –صلى الله عليه وسلم-

***"تشهد"** فعل مسند إلى ضمير مخاطب (أنت)، موجه من النبي –صلى الله عليه وسلم- إلى السائل، لكنه يتجاوز السائل إلى كل مخاطب بالخطاب الشرعي، وهذا ما يعرف في التداوليات بـ"التعميم بالخطاب الموجه".

يلحظ هنا أن مرجع ضمير المتكلم يتبدل من جبريل (في أخبرني) إلى النبي –صلى الله عليه وسلم- (في الجواب)، وهذا التبادل في موقع المتكلم/ المخاطب هو جوهر الإشارية الشخصية.

ويقول النبي -صلى الله عليه وسلم- كما رواه البخاري ومسلم: **"مَنْ أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌ"**[23]، يحفل هذا الحديث بالعديد من الضمائر المتنوعة المرتبطة سياقيًا بمرجعيات محددة، فمن خلالها يمكن تتبع أطراف الخطاب وربطها بمرجعها، فضمير المتكلمين في (أمرنا)، (نا) ضمير جمع مسند إلى الفاعلين، وهو يعود في السياق على المتكلم (النبي صلى الله عليه وسلم) وعلى جماعة المؤمنين معه، فيتحقق بذلك بُعد إشاري شخصي جامع يدمج صوت النبي بصوت أمته في إشارة واحدة، وهذا توظيف بليغ يكرس وحدة المرجعية الدينية بين المتكلم وجماعته.

و"هذا" اسم إشارة يحيل إحالة تحديدية إلى الدين والتشريع، فهو لا يشير إلى مكان حسي قريب، بل يستحضر مرجعًا معنويًا حاضرًا في ذهن المتكلم والمخاطب على السواء، وهو الدين بمجموع أحكامه وحدوده.

فالخلاصة الإشارية، تدل على أن هذا الحديث يقوم على نظام إشاري واضح:

- شخصي: (نا) = جامعة المؤمنين مكان معنوي: داخل النصوص التشريعية.
- تحديدي: (هذا) = الدين والتشريع زمان ضمني: بعد اكتمال الدين.

بمعنى أن أي إضافة تنسب إلى الدين خارج حدوده الأصلية ترفض وترد؛ لأنها خارج الحدود التشريعية المحددة بهذا الدين. ويقول رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم-: **"إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى..."**[24].

يرد في الحديث لفظان إشاريان يحققان وظيفة الشمول والعموم فـ"كل" في "كل امرئ" إشارية شخصية عامة لا تحيل إلى متكلم أو مخاطب بعينه، بل تدل على كل إنسان بإطلاق، محققة بذلك مبدأ التعميم التشريعي الذي يقوم عليه الخطاب النبوي. أما كلمة "امرئ" فهي إحالة إلى الفاعل الإنساني عمومًا، إذ يضع النص الإنسان –أي إنسان- في موضع الفاعل المسؤول عن نيته وعمله، دون تخصيص بزمان أو مكان أو شخص معين. ويكمن البعد التداولي لهذا النمط من الإشارية في كونه يحول الخطاب من توجيه ظرفي محدود (مرتبط بمناسبة قول الحديث أو سببه) إلى تشريع عام يتجاوز حدود المخاطبين الأصليين إلى كل مخاطب لاحق بالنص؛ فـ (كل وامرئ) يجعلان الإشارية الشخصية في هذا الحديث إشارية مفتوحة لا تنغلق على مرجع واحد، بل تتجدد مرجعيتها مع كل قارئ أو سامع للحديث في أي زمان أو مكان، وهذا ما يفسر طابعه التشريعي العام واستمرار الاستشهاد به في مختلف الأبواب الفقهية. ويقول -صلى الله عليه وسلم- أيضًا في حديث آخر: **"إن أحدكم يُجمعُ خلقُهُ في بطن أمه أربعين يومًا، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مُضغة مثل ذلك ... "**[25].

يُعد تكرار اسم الإشارة (ذلك) في الحديث دليلاً بالغ الأهمية على تماسك النص وترابطه الداخلي بانسجام تام؛ فلولا وجود هذا الضمير الإشاري لنشأ لبس في فهم النص، إذ إن غيابه قد يؤدي إلى تفكيك الجمل بعضها عن بعض، فتصبح الإشارة الثانية بـ(ذلك) منقطعة الصلة عن مرجعها الأول، وبهذا يكون التوظيف الإشاري هنا بديلاً اقتصاديًا عن تكرار لفظ (الأربعين يومًا) ثلاث مرات، إذ حقق الاختصار اللفظي مع تأمين السياق من اللبس، عبر آلية تكرار الإحالة وإعادة الضمير نفسه إلى مرجعه الأول، وهذا ما يؤكده مصطفى حميدة في معرض كلامه عن نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية[26] .

وفي الحديث وظيفتان مزدوجتان؛ الأولى: التكرار، وهو ربط النص على اعتبار أن خلقة الإنسان عملية متواصلة من دون فاصل، والوظيفة الثانية؛ تداولية، والمعبر عنها بتوكيد خلق الانسان ولفت السامعين المتلقين إلى أن لهذا الكلام أهمية لا ينبغي إغفالها.

والضمائر الشخصية هي فعل خطابي فردي يتلفظ بها للربط بين المعاني الجزئية لمكونات الجملة، كما هي أدوات ربط سواء كانت بارزة أو مستترة، فهي الوسيلة اللفظية والمعنوية التي يقوم عليها الربط، فلا يمكن أن نتخيل جملة تخلو من تلك الروابط والاشاريات والقرائن وهو نظام ارتباطي لا يمكن الاستغناء عليه في أي لغة، والعربية بالخصوص، ومن خلالها يحدد المتحدث، هل هو حاضر أو غائب مفرد أو جمع، مؤنث أو مذكر. في اللحظة التي يقول فيها المتحدث (أنا، هو، أنت) أو غيرهم، فكأنه أمتلك اللسان كله (27).

وفي حديث أخر عن عبد الله بن العباس - رضي الله عنه- قال كنت خلف النبي - صلى الله عليه وسلم- يومًا، فقال: **"يا غلام إني أعلمك كلمات: احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله ..."(28).**

تمثل أداة النداء (يا) علامة لغوية إشارية تكشف عن رغبة المتكلم في استدعاء انتباه المخاطب وإقامة تواصل مباشر معه، على الرغم من أن حرف النداء ليس من الضمائر فإن النطق به مفردا يعد من المبهمات، كأن تقول (يا) وتسكت، والغرض من النداء ههنا تهيئة المخاطب نفسيا لتلقي نصيحة مهمة، واستمالته وجذب انتباهه، وهي وظيفة تربوية واقناعية مؤثرة، فتبرز الضمائر الاشارية (إني- ك- ت) في بناء شبكة من العلاقات بين المتكلم والمخاطب والمرجع الديني، مما يجعل الخطاب واضحًا ومؤثرًا في سياقه التربوي.

2- **الإشاريات الزمانية**:

تتكون النصوص من مجموعة من السلاسل الحدثية المترابطة، وتلعب الأزمنة دورًا مهمًا في تشكيل نظام العلاقات بين الأحداث وأزمنتها، وربط الزمن بالحدث الكلامي الذي له أهميته، والإشاريات الزمانية كلمات تدل على زمن يحدده السياق في زمن التكلم، ومن الاشاريات الزمانية المستخدمة (اليوم، وأمس، والآن، وغدًا، وإذ، وحين، والساعة، وغيره). وعدم تحديده يسبب لبسًا وغموضًا عند السامع، فلو قلت (نجتمع الساعة الثامنة) ففيه إشارتان زمنيتان، الأولى: الفعل المضارع (نجتمع)، وزمن الفعل هنا يشير إلى زمن لم يمض بعد، وهوما يسمى بالزمن الصرفي، أو بزمن الصيغة، والثانية:(الساعة الثامنة) هل هي صباحًا أو مساءً، اليوم أو غدًا ؟.

والسؤال الذي قد يتبادر لاذهاننا هل الاشاريات الزمانية يعبر عنها بألفاظ مخصوصة تدل على الزمن، أم حتى الزمن الصرفي، وما تحمله الصيغ من أزمنة يعد من الاشاريات الزمانية ؟

نعم؛ زمن الصيغة والأفعال يعد من الاشاريات الزمانية، فهي عناصر، ووحدات لغوية يُفهم زمانها بالرجوع إلى وقت التلفظ، فالأفعال (الماضي والمضارع والمستقبل) تؤدي وظيفة إشارية زمانية؛ لأنها تحدد زمن الحدث بالنسبة إلى زمن الكلام، والوقوف على المدلول الحقيقي لهذا الفعل "ولهذا يجب أن نربط الزمن بالفعل ربطًا قويًا في مرحلة أولى، ونربط كذلك بين الزمن والفاعل؛ لأهميته الكبرى في مرحلة ثانية ... ويرتبط معنى الخطاب ودلالته الزمانية كذلك بأعراف وتقاليد اجتماعية متداولة بين الناس ومحكومة بأوقات محددة"[29]. كأن نقول مثلا: صباح الخير، ومساء الخير عبارتان ترتبط كل منهما بزمان محدد لا تقال إلا فيه، ولو قيلت في غير زمانها، لقابل السامع هذا بالاستنكار والدهشة، وربما صحح للمتكلم قوله بتحديد العبارة.

ومن الأمثلة على ذلك من الأحاديث النبوية الواردة في الأربعين النووية قول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: **"من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت** ... "[30] فكلمة (اليوم) في الحديث إشارة زمانية مستقبلية تشير إلى يوم القيامة، والفعل (كان) يحمل بُعدًا زمانيًا؛ إذ يدل على الثبات والاستمرار لا الماضي فقط، وأيضا فعلا الأمر (فليقل، وليصمت) الواقعان جوابًا للشرط؛ لأن الإيمان الحقيقي يشار إليه بالسلوك اللغوي أو ما يصطلح عليه بأفعال الكلام، وهو خطاب بصيغة الأمر، تعزيزًا للترابط بين العقيدة وبين السلوك اللغوي، والصمت يصبح فعلاً تواصليًا ذا دلالة للتأثير في الآخرين عن طريق اللغة؛ لأن صيغة الأمر مشروطة بالإيمان، والفعل (يؤمن) فعلاً يفيد دلالة زمنية للحال والاستقبال.

وفي حديث آخر عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: **"إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لموتك"**[31].

تظهر الاشارة الزمانية بوضوح من خلال لفظين: (أمسيت) وهو إشارة إلى زمن حاضر أو قريب من لحظة التلفظ، فهو يحيل إلى المساء بوصفه نقطة زمنية قائمة فعلاً في وعي المخاطب. و(الصباح) وهو إشارة إلى زمن مستقبل متوقع، لم يقع بعد وقت التلفظ، وإنما يُستحضر استحضارًا ذهنيًا عند الموازنة بين الزمنين.

والعلاقة الاشارية هنا تقوم على التقابل الزمني بين زمن آني معيش (المساء) وبين زمن مستقبلي غير مضمون (الصباح)، فالإشارة الزمانية في النص لا تقتصر على تحديد الوقت بل تحمل دلالة على:

- سرعة انقضاء الزمن، وقصر عمر الإنسان.

- الإشارة إلى محدودية معرفة الإنسان بالمستقبل.
- الحث على استثمار الوقت دون تأجيل الأعمال.
- استغلال الصحة؛ لأنها تعين على العبادة في أكمل صورها.
- التذكير بانتهاء الحياة بالموت، وانقطاع الإنسان عن العمل.

وهذا يتفق مع ما أشار إليه عبدالهادي بن ظافر الشهري، إذ يتأكد أن الإشارية الزمانية في الخطاب لا تكتفي بوظيفتها الإحالية المباشرة على نقطة في الزمن، بل تتحول في السياقات الدينية والوعظية إلى أداة لبناء دلالات تجاوزية ترتبط بمصير الإنسان ووجوده(32).

ومثله أيضا قول الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ : **"إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يُرسل إليه الملك فينفخ في الروح"**(33) فالإشارة الزمانية هنا تتمثل في قوله (أربعين يوما)؛ لأنها تدل على زمن وقوع الحدث، أي مدة جمع الخلق في بطن الأم، مؤشرًا زمانيًا يحدد المرحلة الأولى من تكون الجنين، وهي مرتبطة بسياق زمني للحدث داخل الخطاب النبوي، وذالك اشارة زمانية متمثلة في وجود حرف العطف (ثم) وتكراره دلالة قوية على تعاقب الزمن وترتيبه.

وقد أوضح (إميل بنفيست)(34)، أن دلالة الزمن لا تتحدد بزمن الفعل، أو ظرف في حد ذاته، وإنما بزمن التلفظ، ومعنى ذلك أننا عندما نعمد التكلم بزمن مثل كلمة (أمس)، فإن دلالته تتحدد بالزمن الذي أنتج فيه الملفوظ، وهو عنصر ملازم لكل لغة وحدث لغوي(35). كما قال علماء العربية الفعل = زمن + حدث، وفي حالة لم يُعرف مرجع الزمن، فقد يواجه المخاطَب -سواء كان مستمعًا أو قارئًا- مشكلة في عدم معرفة ما يتشابه، فإذا ذكرت على سبيل المثال أي لغوي من علماء العربية، فالسؤال دائمًا يكون من أي قرن هو؟ ولهذا السبب نحرص دائمًا على ذكر الزمن والتاريخ الذي ولد أو توفى فيه؛ لأنه انعكاس لمرحلة علمية وثقافية يعيشها الإنسان.

خلاصة القول: أن هذا الحديث نموذج إشاري متأسس على مستويين متكاملين:

مستوى صريح: يتمثل في العدد الزمني المحدد (أربعين يومًا)، ويفيد تحديد المدة الفعلية للطور الواحد.

مستوى ضمني: يتمثل في حرف العطف (ثم) المتكرر، ويفيد التعاقب والترتيب الزمني للأطوار، وهو ما يكشف عن دقة بالغة في رسم تصاعد الخلق وانتقاله من طور إلى طور،

بما يخدم المقصد التداولي للحديث في توكيد قدرة الله سبحانه وتعالى على خلق الإنسان وتدبير أطواره بنظام محكم.

3- **الاشاريات المكانية.**

يُعدُّ المكان أيضًا من أهم العناصر السياقية في تشكيل الخطاب، فإذا كان الحدث الكلامي يقع في زمن معين، فلا بد أن يكون له مكان يحدث فيه، فالزمان والمكان وجهان لعملة واحدة لا ينفصلان، وينبغي الوقوف عليهما؛ لإدراك وفهم حقيقة الحدث الكلامي. ولمعرفة مكان التكلم يستخدم المرسِل إشارة مكانية؛ وهو رمز لغوي يحدد به المكان حال الخطاب، أو مكانًا آخرا معلومًا لدي المتلقي. وللمكان أثره في تحديد الاشارة إليه قربًا أو بعدًا أو جهة لمعرفة مواقع الأشياء، وأكثر الإشاريات المكانية وضوحًا أسماء الاشارة مثل: (هذا، وذاك، وهؤلاء ... الخ) للقريب والبعيد من مركز المتكلم مركز الاشارة، وكذلك الجهات (يمين، وشمال، وفوق، وتحت، وأمام، وخلف ... وغيره) وكل منها يشير لمكان المتكلم.

ومما يمثل به على ذلك: خطاب سائق عندما يهاتفه صديقه؛ ليبلغه عن مكان وجوده، بقوله: (أنا أمام الجامعة). فالمتلقي يعلم الإشارة المكانية لتحديد المكان بكلمة (أمام) وكذلك (ال) التعريف الداخلة على كلمة (جامعة) فحرف التعريف هو أيضا بمثابة اسم الإشارة، إلا أنه يخالفه في افتقاره لدلالة القرب والبعد (19).

ومما يمكن أن يمثَّل به على الإشارة المكانية قول رسولنا الكريم نقلاً عن أبي عبد الرحمن، عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: **"بُني الاسلام على خمس: شهادة ألا إله إلا الله، وأن محمدا عبده ورسوله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان..." (36).**

الاشارية المقصودة في هذا الحديث هي قوله (حج البيت)، فـ(البيت) إحالة إلى الكعبة المشرفة، وهي مكان مخصص تؤدى فيه عبادة محددة في زمن مخصوص، وهو ركن يجمع بين حركة الجسم، والنية بالقلب، والتجرد من ملذات الدنيا وزخرفها. فالاشارة هنا بيت الله الحرام، وعلى الرغم من أن كلمة (البيت) مكان، لكن قد لا تعد من الإشارة المكانية؛ والسبب أن البيت الحرام مكان معلوم، وهناك أيضًا إشارة زمانية وهو صوم شهر رمضان المحدد بزمن معين.

ومنه أيضًا الحديث الشريف، عن ابن عمر قال: قال **رسول الله -صلى الله عليه وسلم- "الوزن وزن أهل مكة، والمكيال مكيال أهل المدينة"(37).**

تتجلى الإشارية المكانية في هذا الحديث في موضعين متقابلين: (أهل مكة) و(أهل المدينة)، إذ تُحيل كل منهما في ضوء السياق إلى عرف اجتماعي- اقتصادي محدد بمكان بعينه، فالإشارة إلى أهل مكة بالوزن تُفهم من السياق ذلك أن أهل مكة أهل تجارة، أما الإشارة إلى أهل المدينة بالكيل؛ فلأنهم أهل زراعة، وبذلك تكون الإشارية المكانية في هذا الحديث قد تركت أثرًا مهمًا في السياق لتحديد المراد، فهي لا تقتصر على تحديد موقع جغرافي مجرد، بل تستدعي معها العديد من الدلالات الحرفية والاقتصادية والعرفية المرتبطة بكل مكان، وهذا ما يجعل الإحالة المكانية هنا إحالة وظيفية لا مجرد إحالة وصفية.

ومن ذلك أيضا قوله: -صلى الله عليه وسلم- عن أبي ذر، جندب بن جُنادة وأبي عبد الرحمن مُعاذ بن جبل - رضي الله عنهما-، عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: **"اتق الله حيثما كُنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن"**(38).

تتمثل الإشارية المكانية في هذا الحديث في لفظة (حيثما)(39)، وهي لفظة تُحيل إلى أي مكان يوجد فيه الإنسان، فهي من الألفاظ التي تعطي شمولاً مكانيًا غير محدد بموضع معين، وتكمن الدلالة التداولية لهذا التوظيف الإشاري في أن التقوى ليست مرتبطة بمكان عبادة مخصوصة كـ(المسجد أو البيت الحرام)، بل هي ملازمة للإنسان في كل موضع يحل فيه؛ فـ(حيثما) بهذا المعنى إشارية مكانية مفتوحة لا تنغلق على مرجع واحد، بل تتجدد مرجعيتها بتجدد موضع المخاطب نفسه، وهذا ما يجعلها أداة بالغة الفعالية في بناء خطاب أخلاقي شامل لا يخص حالاً أو موضعًا بعينه، بل يلازم الإنسان حيث كان.

4- **الإشاريات الخطابية.**

إنَّ اللغة الإنسانية على درجة عالية في تراكيبها، والاختلاف في تجلياتها، "ولا يقتصر الأمر في دراسة اللغة على الوقوف عند مدى معرفة المتحدث باللغة من استعراض الجمل المعزولة والمنبتقة عن سياقها، وإنَّما يجب أن يتجاوز ذلك إلى البحث في قدرة المتكلم على استعمال اللغة في مواقف حقيقية من مواقف الاتصال العامة في حياة الناس"(40).

والخطاب "أداء تواصل لساني يشكل فضاء للتعامل بين المخاطِب والمخاطَب، وهوما يضفي عليه طبيعة النشاط الذي يدور بين شخصين، أو أكثر ويتحدد بأهداف اجتماعية"(41). ويمكننا أن نختصر الاشاريات الخطابية: "بأنها ألفاظ وتراكيب مكونة للخطاب، تنجز وظائف إحالية معينة ولا تقتصر إحالتها على عناصر سابقة فقط، بل تحيل على عناصر لاحقة أيضًا، كما أنها لا تحيل على عناصر من داخل النص، بل تتعداها لتحيل على عناصر خارج النص، وهي تعتمد في تفسيرها اعتمادًا تامًا على السياق بنوعيه

المقالي والمقامي، فغالبًا ما نجد في النص ألفاظًا يستدرك بها المتكلم كلامه، أو يأتي بها معترضة بين أجزاء الخطاب، تؤدي وظيفة تواصلية. نحـو: بل- لكن- من ثَم- فضلاً عن ذلك- مهما يكن"[42] ومن أمثلتها أيضًا (هذا- ذلك-هذه- تلك- ما سبق- ما يأتي- المذكور- قوله الحديث)، وغيره. وهي ألفاظ بصفتها تحمل دلالات ومعاني، هي أيضًا روابط واحالات داخل السياق ولولاها لكان الخطاب والكلام مفككًا لا معنى له.

وتنقسم الاشاريات الخطابية إلى:

أ- إحالة قبلية: وتشير إلى عنصر سبق ذكره، وهو قول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: **"من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد"**[43] فاسم الاشارة (هذا) يعود إلى كلمة (أمرنا).

ب- إحالة بعدية: وهي تشير إلى عنصر سيأتي بعد اللفظ الاشاري، كقوله -صلى الله عليه وسلم- **"ألا أخبركم بأكبر الكبائر"** فالمقصود سيأتي بعد أداة التنبيه والاستفهام. وهي (ألا)؛ لاستفتاح الكلام وتنبيه المخاطَب لتأكيد ما بعدها، وهي مركبة من (الهمزة) و (لا) النافية، والهمزة إن دخلت على النفي أفادت التأكيد والاثبات (أ + لا = ألا)، وهي تدخل على الجملة الأسمية والفعلية نحو قوله تعالى: {ألا إِنهُم هُم السفهاء}[44]، وهي موضع خلاف بين اللغويين من حيث الدلالة والتركيب[45]، وليس المقام مقام تفصيل[46]

ومنه أيضًا قول الرسول -صلى الله عليه وسلم-: **"فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه"**[47]. لافت في هذا الموضع من الحديث أن جواب الشرط قد اقتصر في على إعادة الهجرة بلفظها؛ لأن حصول ما نواه بهجرته، نهاية المطلوب في الدنيا والأخرة، وفي هذا يقول ابن رجب: "... في قوله إلى ما هاجر إليه تحقير لما طلبه من أمر الدنيا، واستهانة به، حيث لم يذكره بلفظ الشرط"[48] فجملة (إلى ما هاجر إليه) تتضمن إحالة خطابية إلى ما سبق ذكره في النص نفسه، وهو ما تقدم من (الدنيا أو المرأة)؛ فالاسم الموصول (ما) يستدعي مرجعه من السياق الخطابي السابق مباشرة، فيحقق بذلك تماسكًا نصيًا بين جزأي الحديث، دون حاجة إلى تكرار اللفظ بعينه.

ومن الاشاريات الخطابية قول الرسول- صلى الله عليه وسلم - في حوارية جبريل عليه السلام **"فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم"** [49].

تأتي الإشارة الخطابية الضمير في(إنه) بعد انتهاء الحوار الطويل بين الرسول - صلى الله عليه وسلم- وجبريل عليه السلام، وهي تحيل إلى الشخص الذي دار حوله

الحديث كله، أي جبريل نفسه، والملحوظ في هذا التوظيف أن الضمير لا يقتصر على وظيفته الإحالية البسيطة، بل يتحول إلى أداة تعليمية تفسر في ضوئها كل ما سبق في الحدث الكلامي، إذ يُجمل بها النبي –صلى الله عليه وسلم- الحوار الطويل في كلمة واحدة، ويوجه بها انتباه الحاضرين إلى حقيقة من حاوره.

ومنه أيضا في حديث الحلال والحرام قوله –صلى الله عليه وسلم-: **"ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله" ثم قال: "ألا وهي القلب"**(50) تتجلى الاشارة الخطابية في هذا الموضع بضمير الغائب (هي) وهو يحيل إلى إحالة خطابية مباشرة إلى (المضغة) المذكورة سابقًا في الجملة الأولى من الحديث، فيربط بذلك بين الشرطين ربطًا نصيًا محكمًا يمنع أي التباس في تحديد المرجع، كما يُلحظ في هذا الموضع وجود أداة التنبيه (ألا) تستدعي انتباه السامع لما سيأتي من الكلام، فهي بمثابة إشارة تمهيدية تُهيئ المستمع لاستقبال معلومة جوهرية، وتمنحها وقعًا خاصًا في ذهنه.

والملاحظ في الاشاريات الخطابية كونها روابط لغوية تجعل من النص وحدة متكاملة متماسكة ومؤثرا تستخدم لتقوية الخطاب، وقد تجلت هذه الاشاريات في الضمائر وأسماء الإشارة - وهما الاكثر استعمالاً - وأسماء الموصولة وأدوات التنبيه وغيره، كل تلك الاشاريات أسهمت في بناء المعنى وأحكام العلاقات بين أجزاء الخطاب النبوي الشريف.

5-الاشاريات الاجتماعية :

هي ألفاظ وتراكيب تحيل إلى العلاقة الاجتماعية القائمة بين المتكلم والمتلقي، من حيث كونها علاقة رسمية أو علاقة ألفة ومودة(51)، فمن صيغ العلاقة الرسمية التي تدخل في باب التعظيم والتبجيل والاحترام في مخاطبة من هو أكبر سنًا أو قدرًا أو علمًا أو رئاسة نحو: (الإمام، فخامة الرئيس، سيادة الوزير، سمو الأمير، السيد، السيدة، الدكتور، حضرة كذا ....الخ) وما يخلو من مثل تلك الصيغ فيشير إلى غير الرسمي، فيستخدم اللفظ مجردًا من غير تفخيم، وكذلك الحال بالنسبة لصيغ التحيات والسلام.

وتتوقف هذه الإشاريات استخدامها بحسب الطبقة الاجتماعية التي يعيشها المرسِل حال التخاطب والتواصل، وهذا النوع على علاقة مشتركة بين التداولية وعلم اللغة الاجتماعي(52) على سبيل المثال (الألقاب، والكنى، والقرابة، والصفات، والمهن، والعمر، والجنس، وغيره ...) وأيضًا ألفاظ نحو: أمي، وأبي، وأخي، ومسلم، ومؤمن، وغلام، وبني، ورسول الله)، وبعض العلاقات التي تربط المجتمعات وغيره. ومثال ذلك ما جاء في حديث الرسول -صلى الله عليه وسلم- قوله : **"وددتُ أني لقيتُ إخواني، فقال**

أصحابه: أوليس نحن إخوانك؟ قال: أنتم أصحابي، ولكن إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني" .(53)

ففي قوله -صلى الله عليه وسلم-: (أصحابي، وإخواني) تعطينا الإشارة مدى العلاقة الاجتماعية بين النبي -صلى الله عليه وسلم- وأصحابه، وكذلك المحبة والود الذي بينهم، وعلاقة الأخوة بينه وبين أتباعه من بعده من أمته، ولم يروه.

ولا يقتصر الحديث النبوي على بيان الأحكام الشرعية، بل يتضمن أبعادا اجتماعية وتربوية تسهم في تنظيم العلاقات الانسانية، وهو منهج اجتماعي متكامل لبناء الانسان، وضبط أموره الحياتية بنفسه وغيره، وفي كتاب (الاربعين النووية) هناك اشارات اجتماعية ودلالات ورموز تنظم العلاقات وتضبط السلوك البشري.

ومنها الحديث الثالث عشر في (حب الخير للآخرين): عن أبي حمزة أنس بن مالك عن الرسول -صلى الله عليه وسلم- قال: **"لا يُؤمن أحدُكُم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه"**(54) وفي هذا الحديث قاعدة اجتماعية هي أنَّ التعامل مع الآخر يكون على نفس معيار التعامل مع الذات، وهي إشارة اجتماعية توضح علاقة الفرد بأخيه . ومنه أيضًا قول الرسول -صلى الله عليه وسلم- في حديثه عن أُخُوَّة الإسلام وحقوق المسلم، عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- **"لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخوانا. المسلم أخو المسلم: لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يكذبه، ولا يحقره، التقوى هاهنا- ويشير إلى صدره ثلاث مرات- بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم، كل مسلم على المسلم حرام: دمه وماله وعرضه"(16(.**

فالاشاريات الاجتماعية في هذا الحديث متمثلة في الآتي:

1-(عباد الله) وهي رابطة اجتماعية ودينية بين المخاطَبين، وهي عبارة تشير إلى هوية الجماعة وانتمائها إلى الله.

2 –(إخوانا) وهي اشارة اجتماعية تؤكد المساواة والتقارب بين المسلمين، كما إنها اشارة تضامن بين أفراد المجتمع.

-3 (المسلم أخو المسلم) وهي اشارة تبين الحقوق والواجبات المتبادلة بينهم.

4- (بعضكم) تشير لوحدة العلاقة بين المسلمين وتماسكهم.

وعند تحليل هذه الإشاريات في هذا الحديث نلحظ أنَّ لفظ(عباد الله) إشارة اجتماعية دينية جامعة تخاطب جميع المسلمين بصفتهم عبادًا منتمين إلى مرجعية واحدة، وهي ألوهية الله –سبحانه وتعالى-، فيتجاوز حدود الأفراد والقبائل إلى هوية جماعية واحدة لا

تقاس بنسب أو مكانة دنيوية، ولفظ (إخوانا) تشير[55] إلى علاقة مثالية مفترضة بين أفراد الجماعة المسلمة، وهي علاقة تقوم على المساواة والتقارب، لا على التفاضل بالنسب أو الجاه، فاستبدال (إخوانا) بألفاظ القرابة الحقيقية (الأب والابن) يكشف عن توظيف اجتماعي مقصود، يرفع رابطة الدين إلى مستوى رابطة الدم، أما قوله (المسلم أخو المسلم) فيتكرر هذا التركيب الإشاري بصيغة الجملة الاسمية الثابتة، فيُحول الأخوة من وصف عارض إلى حكم اجتماعي دائم يلزم منه واجبات متبادلة: عدم الظلم، وعدم الخذلان، وعدم التكذيب، وعدم التحقير، وبذلك تكون هذه الإشارية الاجتماعية أداة لبناء منظومة من الحقوق والواجبات تحكم سلوك الفرد المسلم تجاه أخيه، أما (التقوى ها هنا) وفي هذا الموضع تتقاطع الإشارية الاجتماعية بالإشارية المكانية الجسدية؛ فالإشارة بـ(ها هنا) إلى الصدر تربط مفهوم الأخوة الاجتماعية بين المسلمين منبعه التقوى القلبية لا المظاهر الشكلية.

الخاتمـــــــــة:

بعد دراسة الاشاريات التداولية في كتاب الأربعين النووية للإمام النووي، تبين أن الخطاب النبوي الشريف يزخر بعناصر إشارية متعددة أسهمت في بناء المعنى وتحقيق التواصل الفعَّال بين المتكلم والمتلقي، وقد كشفت الدراسة أن الاشاريات بمختلف أنواعها تمثل ركنًا أساسيًا في فهم المقاصد التداولية للأحاديث النبوية، إذ لا يمكن تحديد مرجعها الدقيق أو استيعاب دلالاتها الكاملة بمعزل عن السياق الذي وردت فيه.

كما أظهرت الدراسة أن الاشاريات الشخصية أسهمت في تحديد أطراف العملية التواصلية وإبراز العلاقات بين المتكلم والمخاطب والغائب، في حين أدت الاشاريات الزمانية دورا مهمًا في ربط الأحداث بأبعادها الزمنية وإبراز المقاصد المرتبطة بها. أما الاشاريات المكانية فقد ساعدت في تحديد المرجع المكاني وتوجيه المتلقي إلى المقصود من الخطاب، بينما أسهمت الاشاريات الخطابية في تحقيق التماسك النصي والربط بين أجزاء الحديث النبوي. كذلك برزت الاشاريات الاجتماعية بوصفها مؤشرات لغوية تعكس طبيعة العلاقات الاجتماعية والقيم الأخلاقية التي يدعو إليها الاسلام.

وقد أكدت الدراسة أن المنهج التداولي يعد من المناهج اللسانية الحديثة القادرة على الكشف عن أبعاد دلالية وتواصلية عميقة في النصوص الشرعية، مما يفتح آفاقًا جديدة لدراسة الحديث النبوي الشريف في ضوء المناهج اللغوية المعاصرة، مع المحافظة على خصوصية النص الديني ومقاصده.

ومن أهم النتائج التي توصلت إليها ما يلي:

ـ أثبتت الدراسة أن الإشاريات تمثل عنصرًا أساسيًا في بناء المعنى داخل الخطاب النبوي، وأن فهمها يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالسياق التداولي الذي وردت فيه.

ـ تبين أن الإشاريات الشخصية هي الأكثر حضورًا في الأحاديث المدروسة، لما تؤديه من دور في تحديد أطراف الخطاب وإحكام العلاقات التواصلية بينهم.

ـ كشفت الدراسة عن الدور المهم للإشاريات الزمانية في توجيه المتلقي نحو البعد الزمني للأحداث والأحكام الواردة في الحديث النبوي.

ـ أسهمت الإشاريات المكانية في تحديد المرجع المكاني وربط المعنى بالبيئة التي يدور فيها الخطاب.

ـ أظهرت الإشاريات الخطابية دورًا مهمًا في تحقيق الانسجام والاتساق بين أجزاء النص النبوي، مما يسهم في وضوح الدلالة وسهولة الفهم.

ـ بينت الدّراسة أن الإشاريات الاجتماعية تعكس منظومة القيم والعلاقات الاجتماعية التي يقوم عليها المجتمع الاسلامي.

ـ أكّدت الدراسة صلاحية المنهج التداولي لتطبيقه على النصوص الحديثية وإسهامه في الكشف عن أبعاد دلالية وتواصلية قد لا تظـــهر من خلال المناهـــج اللغوية التقليدية وحدها.

بيان تضارب المصالـــح:

يُقر المؤلف بعدم وجود أي تضارب مالي أو علاقات شخصية معروفة قد تؤثر على العمل المذكور في هذه الورقة.

الهوامـــــــــــــش:

1 ـ المقاربة التداولية ، فرانسواز أرمينكوا ، ترجمة سعيد علوش ، مركز الانماء الثقافي ، بيروت ـ لبنان ، د ط ت ، ص 5

2- يُنظر: المقاربة التداوليّة: 38، وفي اللسانيّات التداوليّة مع محاولة تأصيليّة في الدرس العربي القديم: 79، وتواصليّة
الأسلوب في روميّات أبي فراس الحمداني، رسالة ماجستير: 33.
3- يُنظر: البرجماتيّة اللغويّة: 88، والمشيرات المقاميّة في اللغة العربيّة:1، والنظريّة البرجماتيّة اللسانيّة: 84.
4- التداوليّة واستراتيجية التواصل: 156.
5 يُنظر: البراجماتيّة اللغويّة: 87.
6- يُنظر: التداوليّات علم استعمال اللغة: 441.
7- المقاربة التداولية: 44.
8- ينظر: التداولية :أصولها واتجاهاتها: 76.
9- يُنظر: المقاربة التداوليّة: 41، وآفاق جديدة في البحث اللغويّ المعاصر: 17.
10- التداوليّة أصولها واتجاهاتها: 76، ويُنظر: التداوليّة، سحالية عبد الحكيم، مجلة المخبر- العدد الخامس- 2009: 96- 97.
11- التداولية، جورج بول، تر: قصي العتابي:27
12- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة: 17.
13- ينظر: لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب ، محمد خطابي:18
14- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة: 17.
15- بنفينست، إميل:" ما اللغة "، ضمن كتاب (اللغة، دفاتر فلسفية) تر: محمد سبيلا وعبد السلام بن عبد العالي، ط4، دار توبقال، 2005: 41.
16- مارتينه، أدريه: وظيفة الألسن وديناميتها، تر: نادر سراج ، ط1، بيروت، 2009: 292.
17- ينظر: التداولية اللغوية الاتجاه والخصائص والعلاقات ، مصطفى شعبان ، المكتب الجامعي الحديث ،ط 1 ، 2020 م : 81 وما بعدها

18- ينظر: التداولية اللغوية الاتجاه والخصائص والعلاقات، د.مصطفى شعبان، المكتب الجامعي الحديث، 2020: 82.
19- المرجع السابق والصفحة نفسها.
20- لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، ذهبية حمو الحاج، دار الأمل، تيزي: 98.
21- ينظر: نسيج النص: 117.
22 - الأربعون النووية، للإمام النووي، المستوى الثاني من المتون العلمية ، ط2 ،2023م : 72 و 73.
23 - المصدر السابق: 79
24 ـ المصدر السابق، الحديث الأول :70 .
25 ـ المصدر السابق ، الحديث الرابع :77
26- ينظر: نظام الارتباط والربط في تركيب الجملة العربية، مصطفى حميدة: 153.
27- لسانيات النص وتحليل الخطاب، عزمي محمد سلمان: 48.
28 ـ الأربعون النووية، الحديث التاسع عشر :95
29- استراتيجيات الخطاب. مقاربة لغوية تداولية، عبد الهادي بن ظافر الشهري، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004: 86.
30 ـ الأربعون النووية ، الحديث الخامس عشر : 91.

31 ـ المصدر السابق ، الحديث الأربعون: 125
32 - استراتيجيات الخطاب. مقاربة لغوية تداولية: 86.
33 ــ الأربعون النووية، الحديث الرابع: 77 .
34- هو لغوي فرنسي، ومن أبرز المساهمين في اللسانيات الحديثة، وله تأثير كبير في دراسة التداولية وتحليل الخطاب واللغة، ينظر ، (مشكلات اللسانيات العامة ، لإميل بنفنست ، تر،صالح القرمادي والمسدي ، دار العربية للكتاب ، تونس/ ليبيا، 1986 : 280).
35- التداولية: أصولها واتجاهاتها: 80-81.
36 ـ الأربعون النووية ، الحديث الثالث : 76.
37 ـ وهو حديث لم يرد في الأربعين النووية، وجئت به كشاهد، ينظر: سنن أبى داود ، تحقيق :محمد محيي الدين عبد الحميد ، صيدا ، بيروت المكتبة العصرية ، د ت، حديث رقم 3340.
38 ـ الأربعون النووية ، الحديث الثامن عشر :94.
39- هي أداة تفيد المكان غير المحدود، وتستخدم غالبا للربط بين جملتين، مثل: حيثما تذهب أذهب معك، حيثما كلمة مركبة تستعمل كـ(اسم شرط جازم لفعلين مضارعين) مثل (حيث تمشي أمشي)، وتعني في أي مكان، وتتكون من (حيث) وهو ظرف مكان، و (ما) الزائدة التي تكفها عن الإضافة وتكسبها معنى الشرطية، ينظر: المعجم المفصل في علوم اللغة، محمد التونجي وراجي الأسمر: 1/293.
40- لسانيات النص وتحليل الخطاب، عزمي محمد: 21.
41- الخطاب: تحديات وتصورات: أغليمو محمد. مجلة بصمات. جامعة الحسن الثاني المحمدية، كلية الآداب، العدد السادس (2015): 91.
42- الاشاريات الخطابية والاجتماعية . أزهار علي ياسين غالي ، مجلة الدراسات المستدامة ، جامعة البصرة ، كلية الآداب المجلد 1 (2021): 1
43 ـ الأربعون النووية ، الحديث الخامس :79.
44- سورة البقرة، الآية: 13.
45- ينظر: الجنى الداني في حروف المعاني، حسن بن قاسم المرادي: 381.
46- قد تكون حرف عوض، أو حرف تحضيض، أو حرف توبيخ وانكار، أو حرف استفهام، أو تمني، ينظر: المعجم الوافي في النحو العربي علي توفيق و يوسف جميل: 53.
47 ـ الأربعون النووية، الحديث الأول: 70.
48- شرح الاربعين النووية، محمد صالح المنجد، مجموعة زاد: 21.
49 ـ الأربعون النووية ، الحديث الثاني :74.
50 ـ المصدر السابق، الحديث السادس : 80.
51- ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، محمود نحلة: 26.
52- ينظر: المرجع السابق: 25. وعلم اللغة الاجتماعي: هو فرع من فروع اللسانيات يدرس العلاقة بين اللغة والمجتمع وكيف تتأثر طريقة استخدام اللغة بالعوامل الاجتماعية مثل: العمر والجنس والمهنة والمستوى التعليمي وغيره.
53 ــ هذا الحديث لم يذكره النووي في الأربعين، (ينظر ،صحيح مسلم ، تح: محمد فؤاد عبد الباقي، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ،د ت ، كتاب الطهارة / الفضائل ، باب فضل الايمان بالغيب، حديث رقم 249).
54 ـ الأربعون النووية، الحديث الثالث عشر: 89.

55